﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾ [هود: 81]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بيانُ عاقبةِ الأضدادِ نجاةُ الأتقياءِ وهلاكُ الأشقياءِ

"لمّا ضاق بـ لوط ﷺ الأمرُ؛ كشَفَ الله ﷻ عنه الضُّرَّ، فعرَّفَ إليه الملائكةَ، وقالوا: لا عليكَ، فإنَّهم لا يصِلونَ إليكَ بسوءٍ، وإنّا رُسُلُ رَبِّكَ جِئْنا لإهلاكِهم، فاخرُجْ أنت وقومُكَ من بينِهم، واعلمْ أنَّ مَن شارَكَهم في عَمَلِهم بنوعٍ، فَلَهُ من العذابِ حِصَّةٌ، ومن جُملتِهم امرأتُكَ الَّتي كانت تَدلُّ القومَ على المَلِكِ لِفِعْلَةِ الفاحِشَةِ، وإنَّ العقوبةَ لاحِقةٌ بها، مُدرِكةٌ لها"[1]، فالمناسبةُ بينَ الآيةِ والكلام السّابقِ بيانُ عاقبةِ الأضدادِ: نجاةُ الأتقياءِ وهلاكُ الأشقياءِ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَأَسۡرِ﴾: "السُّرَى: سَيرُ اللَّيلِ، يُقالُ: سَرَى وأسْرَى، قال تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ﴾ [هود: 81]، وقالَ تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾ [الإسراء: 1]، وقيلَ: إنَّ (أسرى) ليست من لفظةِ سرى يسري، وإنَّما هي من السَّراةِ، وهي أرضٌ واسِعَةٌ، وأصلُهُ من الواو... وسَراةُ كلِّ شيءٍ: أعلاهُ، ومنهُ: سَراةُ النَّهارِ؛ أي: ارتفاعُهُ، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم: 24] أي: نهرًا يَسري، وقيل: بل ذلك من السَّرو؛ أي: الرِّفعةِ"[2].

2) ﴿بِقِطۡعٖ﴾: "القَطْعُ: فَصْلُ الشَّيءِ مُدرَكًا بالبَصَرِ كالأجْسام، أو مُدرَكًا بالبَصيرةِ كالأشياءِ المعقولةِ، فَمن ذلك قَطْعُ الأعضاءِ،

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 2/149.
(2) الراغب، المفردات: (سرو).

نحوُ قوله: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ [الأعراف: 124]، ... وقِطْعٌ منَ اللَّيْل: قطعةٌ منهُ، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: 81]"[1]، "والقِطْعُ: ظُلْمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ، ومنْهُ قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾؛ قالَ الأخفشُ: بِسَوادٍ منَ اللَّيْلِ"[2].

3) ﴿يَلْتَفِتْ﴾: "لَفَتَ وجهَهُ عَنِ القَوْمِ: صَرَفَهُ، والتَفَتَ التِفاتًا، والتَّلَفُّتُ أكثرُ منْهُ، وتَلَفَّتَ إلى الشَّيْءِ، والتَفَتَ إليهِ: صَرَفَ وجْهَهُ إليهِ، قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، أُمِرَ بتَرْكِ الالتِفاتِ؛ لِئَلّا يَرَى عظيمَ ما يَنْزِلُ بِهِمْ منَ العَذابِ، وفي الحَديثِ في صِفَتِهِ ﷺ: «فإذا التَفَتَ، التَفَتَ جَميعًا»، أراد أنَّهُ لا يُسارِقُ النَّظَرَ، وقيلَ: أراد لا يَلْوي عُنُقَهُ يَمْنَةً ويَسْرةً؛ إذا نَظَرَ إلى الشَّيءِ، وإنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ الطّائِشُ الخَفيفُ، ولَكِنْ كانَ يُقْبِلُ جَميعًا، ويُدْبِرُ جَميعًا"[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

"قالتِ الملائكةُ: يا لوطُ، إنّا رسلُ ربِّكَ، جِئْنا لِنَجاتِكَ من شَرِّهِم وإهلاكِهم، ومعنى هذا أنَّهم لم يَصِلوا إليكَ بسوءٍ في نفسِكَ ولا فينا... فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ، واخرُجْ من هذهِ القَريةِ الظّالمِ أهلُها بطائفةٍ مع اللَّيل تكفي لتجاوزِ حدودِها والبُعْدِ عَنها... ولا يَلْتَفِت منكم أحدٌ إليها أبدًا؛ خوفًا من أن يرى العذابَ فَيصيبَهُ، وامضوا حيثُ تُؤمَرونَ.

فَأَسْرِ بِأهلِكَ جميعًا إلّا امرأتَك... وكانَتِ امرأةً كافِرَةً لها ضِلْعٌ مَعَ قَومِ لوطٍ الكَفَرةِ، إنَّه مصيبُها ما أصابَهم، إنَّ مَوعِدَهم الصُّبحُ؛ إذ سَيَبتَدِئُ عذابُهم من طلوعِ الفَجْرِ، ويَنْتَهي عِندَ شروقِ

الجَسارةُ على الزَّلّةِ وخيمَةُ العاقِبَةِ، ولا يَنْفَعُ الأشقياءَ الاتِّصالُ بالأنبياءِ

(1) الراغب، المفردات: (قطع).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (قطع).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (لفت).

الشَّمس... أليسَ الصُّبحُ بِقَريبٍ؟ وقَد كانوا يتعجَّلونَ العذابَ كُفرًا واستِهزاءً بلوطٍ"[1].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### عِلَّةُ فَصْلِ مَطْلَعِ الآيةِ:

المؤمنُ دائمًا يأوي إلى رُكْنٍ شَديدٍ

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾ عمّا قبلَه للاستئناف البيانيِّ؛ إذ إنَّ توتُّرَ الموقفِ مُثيرٌ، يستدعي إلى الأذهانِ المتلقِّيةِ أسئلةً متكاثرةً تدورُ حولَ ما جرى بعد ذلك؟ وكيف سَتُحَلُّ هذهِ الأزمةُ؟ وقد بلغَ المشهدُ ذروةَ الحَبْكَةِ الأليمةِ، فها هو لوطٌ عليه السلام قد استَنْفدَ أسبابَهُ، وبدا عجزُهُ، وها هم الغوغائيُّون يتسوَّرونَ جُدُرَ بيتِهِ، كما في بعض الرِّواياتِ، وها هم الضَّيفُ الكريم هادِئونَ يرقبون الموقفَ.

وحينئذٍ يأتي فرجُ الله تعالى ويكشفُ الملائكةُ الكرامُ عن أنفسِهم، ويبشِّرونَهُ بأنَّهُ يأوي إلى ﴿رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ حاضرٍ عاجلٍ غيرِ آجلٍ، هو ركنُ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ ويوجِّهونَهُ إلى الخروجِ ليلًا برفقةِ أهلِهِ إلّا امرأتَهُ الهالكةَ مع الهالكين، وألّا يلتفتَ أحدٌ منهم حتَّى لا يُصرَعَ من هَولِ المنظَرِ الَّذي سيَحِلُّ بهؤلاءِ الفاسقين.

فـ "إذْ قَدْ كانُوا في صُورَةِ البَشَرِ، وكانُوا حاضِرِي المُجادَلَةِ حَكَى كَلامَهُمْ بِمِثْلِ ما تُحْكَى بِهِ المُحاوراتُ، فَجاءَ قَوْلُهُمْ بِدُونِ حَرْفِ العَطْفِ عَلَى نَحْوِ ما حُكِيَ قَوْلُ: لُوطٍ عليه السلام وقَوْلُ قَوْمِهِ"[2].

### غرضُ النِّداءِ:

عندَ استِحكامِ الكَربِ على الصّالحين يأتي الفرجُ من ربِّ العالمين

النِّداءُ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ﴾ هو نداءُ الإغاثةِ، نداءُ الرُّكنِ الشَّديدِ الَّذي تمنّاهُ لُوطٌ لتوِّهِ، النِّداءُ هنا يمثِّلُ جوابَ المضطرِّ الَّذي لا يتأخَّرُ، ولا يتخلَّفُ بكرم الله ﷻ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: 62].

(1) حجازي، التفسير الواضح: 2/138.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/131.

النِّداءُ هنا هو الملاذُ الآمنُ الذي أنقذ لوطًا ﷺ من ورطتِه، وأداةُ البعيدِ (يا) من دواعي الطُّمأنينَةِ الَّتي يقتَضيها حالُ لوطٍ ﷺ فبِرُغم قربِهم منهُ ووجودِهم معَهُ آثروا بثَّ الأمنِ في أرجاءِ نفسِهِ بهذهِ الأداةِ.

"لَمّا بَلَغَ بِلُوطٍ ﷺ تَوقُّعُ أذَى ضَيْفِهِ مَبْلَغَ الجَزَعِ ونفادِ الحيلَةِ؛ جاءَهُ نَصْرُ اللّه عَلَى سُنَّةِ اللّه تعالى مَعَ رُسُلِهِ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يُوسُف: 110]"[1].

وقد "دلُّوا بحرفِ النِّداء الموضوعِ للبُعدِ على أنَّه كانَ قد خرجَ عَنِ الدّار، وأجافَ بابها، وأنَّ الصِّياح كان شديدًا"[2].

### دلالةُ إخبارِ الملائكةِ بأنَّهم رُسُلُ الله تعالى:

عند مجيءِ البشاراتِ تنقلِبُ الموازين وتنعكسُ النِّذاراتُ

"ابْتَدَأ المَلائِكَةُ خِطابَهُمْ لُوطًا ﷺ بالتَّعْريفِ بِأنْفُسِهِمْ لِتَعْجِيلِ الطُّمَأْنِينَةِ إلَى نَفْسِهِ؛ لِأنَّهُ إذا عَلِمَ أنَّهُمْ مَلائِكَةٌ؛ عَلِمَ أنَّهُمْ ما نَزَلُوا إلّا لِإظْهارِ الحَقِّ، قالَ تَعالَى: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر: 8]"[3]، "فخفِّضْ عليك من هذا الضِّيق الذي نراهُ بك، فإنّا ما أُرسِلْنا إلّا لإهلاكِهم"[4]، "أرْسَلَنا لِتَنْجِيَتِكَ مِنْ شَرِّهِمْ وإهْلاكِهِمْ"[5].

فيفيدُ هذا الخبرُ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ فائدةً جديدةً وعزيزةً عليه ﷺ فائدةً كان لا يعرفُها، فائدةً جاءتْهُ نجدَةً، وقلَبَت الموازينَ، فالخائفُ صار آمنًا، والآمنون طُمسَتْ أعينُهم، فَهاموا على وجوهِهم لا يهتدونَ إلى دورِهم طريقًا تمهيدًا للخَسْفِ بهم؛ ليتَتابَعَ عليهمُ العذابُ، ولا يأتيهمُ الموتُ مرَّةً واحدةً، فيا لهُ من خبرٍ جميلٍ! ويا لهُ من خبرٍ عظيمٍ! وقد دلَّ الخبرُ على عدم علمه ﷺ بأنَّهم ملائكةٌ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/131.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 9/343.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/131.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 9/333.
(5) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.

فحسُنَ التَّعريفُ بأنفسِهم لدفْعِ خوفِهِ عليهم، وللتَّوطئَةِ لإخبارِهِ بنفي وصول قومِهِ إليهم.

### دلالةُ إضافةِ لفظِ الرَّبِّ إلى ضمير الخطابِ:

عنوانُ الرُّبوبيَّةِ عنايةٌ حكيمةٌ وتربيةٌ فريدةٌ موصلةٌ للمقصودِ

لفظُ الرُّبوبيَّةِ حبيبٌ إلى المسلم، يبشِّرُه بخيرٍ ينزلُ إليه من الرَّحمنِ الرَّحيم ﷻ ويُذَكِّرُهُ بنعمائِهِ الَّتي توالتْ عليه منذُ أوجدَهُ الله تعالى.

ففي إضافةِ اسم الرَّبِّ ﷻ إلى ضمير المخاطَبِ لوطٍ عليه السلام في جملة ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ اتِّساقٌ مع السِّياق ووفاءٌ بحقِّ المقام، فالخبرُ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ خبرُ نجاةٍ وإكرامٍ عظيمٍ يناسبهُ لفظُ الـ (رب)، والمقامُ العصيبُ على لوطٍ عليه السلام يقتضي البشاراتِ المتتابعةَ؛ لانتزاعِ الفَزَعِ المَتأصِّلِ على نفسِهِ ويكافئُهُ، فكان هذا الخبرُ المؤكَّدُ، المبشِّرُ، والمُطَمْئِنُ لنفسِه ورُوحِه وقلبِهِ عليه السلام متَّسِقًا مع العناية الرَّبّانيَّة التي يحتاجُ إليها لوطٌ عليه السلام.

### علَّةُ الفصْلِ:

بيانُ الجملةِ للسّابقة سببٌ لتركِ العطفِ

هذه الجملةُ ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ خبرٌ آخرُ سيقَ إليه عليه السلام بإثْرِ الخَبرِ السّابقِ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، وفُصِل عنه؛ لأنَّهما في غِنًى عن واصلٍ يصلُهما؛ إذ إنَّ كونَهم رُسلَ ربِّه ﷻ يعني: أنَّ الكفّارَ لن يصلوا إليه، فمجيءُ الخبرِ التالي ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ بيانٌ؛ ليترسَّخَ فيه عليه السلام ويزولَ عنه القلقُ بالكلِّيَّة.

وقصدَ الملائكةُ الكرامُ بقولهم: "﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ أي: إلى إضرارِكَ بإضرارِنا"[1]، فهي "جملةٌ موضِّحةٌ لِلَّتي قبلَها؛ لأنَّهم إذا كانوا رُسُلَ الله لم يصلوا إليه، ولم يقدِروا على ضررِه"[2]، و"مُبَيِّنَةٌ لِإجْمالِ جُمْلَةِ ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾، فَلِذَلِكَ فُصِلَتْ، فَلَمْ تُعْطَفْ؛ لِأَنَّها بِمَنْزِلَةِ عَطْفِ البَيانِ"[3].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.
(2) الزمخشري، الكشّاف: 2/415.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.

### سِرُّ التَّعبيرِ بلفظِ (الوصول) دونَ (الإيذاءِ):

التَّنبيهُ بالأدنى على الأعلى فعدَمُ الوصولِ يَلْزَمُ عنه عدَمُ الإيذاءِ

عبَّر النَّظمُ الكريم بالوصولِ في قولِه تعالى: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ دونَ أن يقولَ: (لن يؤذوكَ، أو يَضُرُّوكَ)؛ لأنَّهُ مرحلةٌ سابقةٌ على الإيذاء، ولن يقعَ الإيذاءُ إلّا بعد الوصولِ، وإذا كان الوصولُ ممنوعًا أصلًا؛ كان الإيذاءُ ممنوعًا من بابٍ أولى، فهو تنبيهٌ بالأدنى على الأعلى، ففيهِ كِنايَةٌ عن تمام الحِفْظِ وتَمام النَّجاةِ من شَرِّ الفاسقين وفجورِهم.

### سرُّ نفي وصولِ القَوم إلى لوطٍ ﷺ دون ضيفه:

إذا جاءتِ الوعودُ الصّادِقةُ؛ اضمحلَّتِ الظُّنونُ المتوهَّمَة

قَولهم: ﴿لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾؛ أي: "بِسُوءٍ في نَفْسِكَ ولا فِينا"[1]، وتقييدُ نفْي الوصولِ بقوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ دونَ أن يُقالَ: (إليهم) وهم المقصودونَ بالوصولِ يَلْفِتُ انتباهَ المخاطَبِ، وكأنَّ فيهِ مخالفةً لِما يقتضيه ظاهِرُ الحالِ؛ لأنَّه ﷺ يَخشى وصولَ القوم الفاسقين إلى الضَّيفِ الكريم لا وصولَهُم إليهِ هو، ولكنَّ الملائكةَ يبشِّرونَهُ بنفي وصولِ القوم إليه هو.

والَّذي يَظهرُ أنَّ الملائكةَ لمّا نَفَوْا وصولَ قومِه ﷺ إليه، كان غرضُهم التَّنبيهَ على أنَّ وصولَهم إليهم هو أبعدُ، كما أنَّ في نفي وصولِهم إليه إيماءً إلى نفي حزْنِهِ وغَمِّهِ، فبَيْنَ الفِعْلِ ﴿يَصِلُوٓاْ﴾ والقَيدِ ﴿إِلَيۡكَ﴾ تَناغُمٌ كَبيرٌ.

### معنى حرف الفاءِ:

الفاءُ تفريعيَّةٌ على الوعدِ الإلهيِّ المحتوم

جاءتِ الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾؛ "لترتيبِ الأمْرِ بالإسراءِ على الإخبارِ برسالتهم المؤذِنَةِ بورودِ الأمْرِ والنَّهي من جنابِه ﷻ إليه ﷺ"[2]، فهي تفْريعيَّةٌ للإسراء بأهلِه على الوعْدِ بعدم وصولِ القوم إليه، "فَلَمّا رَأى ابْتِداءَ سَلامَتِهِ مِنْهُمْ

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/305.

بِانْصِرافِهِمْ؛ حَسُنَ أنْ يُبَيِّنَ لَهُ وجْهَ سَلامَتِهِ في المُسْتَقْبَلِ مِنْهُمْ بِاسْتِئْصالِهِمْ وبِنَجاتِهِ، فَذَلِكَ مَوْقِعُ فاءِ التَّفْرِيعِ"[1].

### دلالةُ استعمالِ الفِعْلِ ﴿فَأَسْرِ﴾:

الأخْذُ بالأسبابِ المتاحَةِ من تَمام الحكمَةِ

معنى ﴿فَأَسْرِ﴾: "فَسِرْ بأهلِكَ ليلًا، والسُّرَى: سَيرُ اللَّيلِ"[2]، وهذا الفعلُ يعطي دلالتين متوازِيَتَيْنِ: الأولى: أُخرُجْ من القريَةِ بعيدًا، الثانية: لِيَكُنِ الخروجُ ليلًا؛ وذلك لأنَّ الخروجَ ليلًا يَضْمَنُ لَهُ ولأهلِهِ السَّلامةَ وعدمَ الإعاقةِ في الخروجِ؛ إذ لا يتعرَّفُ مَن بَقِيَ من القوم مبصرًا بعد طَمْسِ أعينِ المتهجِّمينَ عِنْدَ بيتِ لوطٍ ﷺ فـ "تَعْيِينُ اللَّيْلِ لِلْخُرُوجِ كَيْلا يُلاقِيَ مُمانَعَةً مِنْ قَوْمِهِ أوْ مِنْ زَوْجِهِ، فَيَشُقُّ عَلَيْهِ دِفاعُهُمْ"[3].

وليس لفعلٍ من مرادفاتِ ﴿فَأَسْرِ﴾ من خصائصِ التَّعبيرِ وإشاراتِهِ المعنويَّةِ كلُّ ذلك، فكان اصطفاؤُهُ لهذا المقام في نهايةِ الاتِّساقِ والتَّناسُبِ.

### تَوجيهُ القراءاتِ القُرآنيَّةِ:

وقد "قرأ نافِعٍ وابنُ كثير ﴿فَٱسْرِ﴾ موصُولةً، والباقُون بِقطعِ الألفِ، وهُما لُغتانِ، يُقالُ: سريتُ بِاللّيلِ وأسريتُ... فمن قرأ بِقطعِ الألفِ؛ فحُجّتُهُ قولُهُ ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]، ومن وصل؛ فحُجّتُهُ قولُهُ سبحانه: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر: 4]، والسُّرَى: السَّيْرُ في اللَّيْلِ"[4].

### معاني حرفِ الباءِ ودلالاتُه:

المؤمنُ بأهلِ دينِهِ ألصَقُ، وبملابَستِهِم أمْتَعُ

لمعنى الباءِ في قولِهِ تعالى: ﴿بِأَهْلِكَ﴾ أربعةُ معانٍ عند المفسِّرين:

الأوَّلُ: الإلصاقُ، حيثُ أفادَ حرفُ الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِأَهْلِكَ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.
(2) الماوردي، النكت والعيون: 2/490.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/381.

الإلصاقَ، فهو يُفيدُ شِدَّةَ الارتباطِ بين لوطٍ ﷺ وبينَ أهلِه، و"المرادُ بالأهلِ: المؤمنونَ، وإن لم يكونوا من أهلِ بيتِه، لا أهلُ بيتِه، وإن لم يكونوا مؤمنينَ، كما في قولِه تعالى لنوحٍ ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: 46]"[1]، فهكذا قالَ اللّه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]. فتخرجُ زوجتُهُ الهالكةُ، وكأنَّهم لشدَّةِ ارتباطِهم ببعضِهم البعض ملتصقونَ بهِ، وفي ذلك كنايةٌ عن نجاةِ أهلِه ﷺ فلا يبقى لديهِ أيُّ خوفٍ يَخصُّهُ أو يخصُّهم.

والثّاني: الباءُ نابت منابَ (مع)، فالمعنى: "فاخْرُجْ منْ هَذِهِ القَرْيَةِ أوِ القُرَى مَصْحُوبًا بِأَهْلِكَ"[2]، ولن تنهضَ (مع) - لو عُبِّر بها في غيرِ القرآنِ الكريم - فقيلَ: فَأسرِ مع أهلِكَ، وهي تفيدُ معَ المصاحبةِ أيضًا، فصارتْ ثريَّةَ الدِّلالاتِ والإشاراتِ، وهكذا يصطفي الذِّكرُ الحكيمُ من مفرداتِ اللُّغةِ أدقَّها وأنسبَها للمقامِ والسِّياقِ والغَرضِ.

والثّالث: التَّعديةُ، والرّابعُ: الباءُ "للملابسَةِ؛ أي: سِرْ ملابَسًا بأهلِكَ بِقِطْعٍ منَ اللَّيْلِ"[3]، ومعنى الإلصاقِ والملابسةِ قويٌّ وظاهرٌ فيها.

### معنى حرفِ الباءِ:

الباءُ في قولِه تعالى: ﴿بِقِطْعٍ﴾ تفيدُ الظَّرفيَّةَ؛ أي: في قطعةٍ منَ اللَّيل، أو: "بِطائِفَةٍ منَ اللَّيْلِ تَكْفِي لِتَجاوُزِ حُدُودِ هَؤُلاءِ القَوْمِ"[4]، والباءُ تؤازِرُ في ظرفيَّتِها وقتَ اللَّيل، وكأنَّهم يَحثُّونَهُ على اتِّخاذِ السِّرِّيَّةِ بجميعِ أسبابِها سِربالًا يَتَسربَلونَ بِه، فلا يَلحَقُهم أحدٌ، فينجون، ولا يعوقُهم أحدٌ، فيؤخِّرُهم إلى وقتِ حلولِ العذابِ.

**اللَّيلُ لذوي الحاجاتِ أستر**

(1) الآلوسي، روح المعاني: 6/307.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 6/305.
(4) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.

فقد نصحوهُ بمعيَّةِ أهلِهِ والارتباطِ بهم، وتخيُّرِ قطعةٍ مظلمةٍ من عُمْقِ اللَّيل البهيم، وفي ذلك أَخْذٌ بأسبابِ البشَرِ قَدْرَ الطّاقةِ.

**بلاغةُ التَّعبيرِ ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ دونَ (في اللّيل):**

الـوقـتُ الَّـذي خـرجَ فيه لـوطٌ ﷺ مـقـصـودٌ معلومٌ لديهِ

سَبَقَتِ الإشارةُ إلى توجيهِ الملائكةِ لوطًا ﷺ إلى تحرِّي السَّتْرِ؛ لعدم تمكين أحدٍ من إعاقتِهم عند خروجِهم من القريةِ، وقد ناسب ذلك أن يَدُلُّوهُ على جزءِ اللَّيل البهيم، فعبَّروا عن ذلكَ بكلمةِ ﴿بِقِطْعٍ﴾، وكأنَّها القطعةُ المنحوتَةُ من ظُلمةِ اللَّيل، فكان تحديدُهم بـ ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ مناسبًا أتمَّ المناسبةِ لتحقيق الغرضِ، دون أن يقولوا: (من الليلِ)، فالعداوةُ الآنَ قد استفْحَلَتْ منَ القَوم الذين يتربَّصونَ بهِ وبأهلِه، وهذه القطعةُ منَ اللَّيلِ قطعةٌ مقصودةٌ عَلِمَها لوطٌ ﷺ فأسرى بأهلِه، والَّذي يظهرُ أنَّ لوطًا ﷺ "أسرى بأهلِه من أوَّلِ اللَّيل حتَّى جاوزَ البلَدَ المقتلعَ، ووقعت نجاتُه بسحرٍ، فتجتَمعُ هذه الآيةُ مع قوله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: 34]"[1].

ولو جاءت: (فأسْرِ بأهْلِكَ في اللَّيلِ)؛ لكانَ الكلامُ عامًّا غيرَ مقصودٍ بهِ زمانٌ معيَّنٌ، فلمّا حدَّد القطْعَ من اللَّيلِ؛ عُلِم أنَّ المرادَ شيءٌ مقصودٌ، وهذا المقصودُ اختَلَفَ فيه المفسِّرون.

"قالَ نافِعُ بْنُ الأَزْرَقِ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبّاسٍ ﷺ: أَخْبِرْني عَنْ قَوْلِ اللهِ: ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾، قال: هو آخِرُ اللَّيلِ سَحَرٌ، وقالَ قَتادَةُ: بَعْدَ طائِفَةٍ منَ اللَّيْلِ، وقالَ آخَرُونَ: هُو نِصْفُ اللَّيْلِ، فَإِنَّهُ في ذَلِكَ الوقْتِ قُطِعَ بِنِصْفَيْنِ"[2]. وقال الفخرُ الرّازيّ: "اخْرُجُوا لَيْلًا؛ لِتَسْبِقُوا نُزُولَ العَذابِ الَّذي مَوْعِدُهُ الصُّبْحُ"[3]. وقال ابن كثير: "وأمَرُوهُ أنْ يَسْرِيَ بأهْلِهِ منْ آخِرِ اللَّيْلِ، وأنْ يتَّبِعَ أدْبارَهُمْ؛ أيْ: يَكُونُ ساقَةً لأهْلِهِ"[4].

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/196.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/381.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/381.
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/338.

## غرَضُ النَّهي:

على المؤمنِ تَرْكُ تعلُّقِهِ بأماكِنِ السُّوءِ؛ خَشيةَ لُحُوقِهِ شيءٌ من عقابِ أهلِها

"الالتِفاتُ: نظرُ الإنسانِ إلى ما وراءهُ، والظّاهِرُ أنّ المُراد أنّهُ كان لهُم في البلدةِ أموال وأقمشة وأصدِقاءُ، فالملائكةُ أمرُوهُم بأن يخرُجُوا، ويترُكُوا تلك الأشياء، ولا يلتفتُوا إليها ألبتّة، وكان المُرادُ منهُ قطع القلبِ عن تلك الأشياءِ، ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾: النَّهْيُ عَنِ التَّخَلُّفِ"[1]، كأنَّه قيل: "إذا سَمعْتَ ما نَزلَ بِهِمْ، ولا تَهُولَنَّكم تِلْكَ الأصْواتُ المُزْعِجَةُ، ولَكِنِ اسْتَمرُّوا ذاهِبِينَ، كَما أنْتُمْ"[2].

وفي النَّهي عنِ التِفاتِ أحدٍ من أهْلِهِ تَنْبيهٌ إلى واحدٍ من أهَمِّ أسبابِ نَجاتِهِ وأهلِهِ، وذلك لئلّا تَتضرَّرَ الأبصارُ من هولِ ما يكون، و"لِئَلّا يَرَى العَذابَ، فَيُصِيبَهُ"[3]. فمُقتضى ذلك النَّهي ألّا "يَنْظُرَ وراءَهُ منكم أحَدٌ، ولا يَتَخَلَّفَ منكم أحَدٌ، ولا يَشْتَغِلَ منكم أحدٌ بما يُخَلِّفُهُ من مالٍ أو مَتاعٍ"[4]، ففي النَّهي عنِ الالتفاتِ "التّقصِّي في تحقيقِ معنى الهِجرةِ غضبًا لِحُرُماتِ اللّه بِحيثُ يقطعُ التّعلُّق بالوطنِ ولو تعلُّق الرُّؤيةِ"[5].

### فائِدَةُ ذِكْرِ الجارِّ والمَجْرورِ وتَقْدِيمِهما ﴿مِنكُمْ﴾:

تَوكيدُ مَضامينِ الخطابِ أدعى لِلْفَهْمِ والاستِجابَةِ

لم يقلْ سبحانه: (ولا يلتَفِتْ أحدٌ) مع استقامةِ المعنى، فذَكَرَ ﴿مِنكُمْ﴾ وقدَّمَها على الفعلِ ﴿يَلْتَفِتْ﴾، فيُسألُ عن فائدَةِ ذلك؟ ومنَ المقطوعِ بهِ أنَّ الملائكةَ الكرامَ حَريصونَ على اختصاصِ لوطٍ وأهْلِهِ بالنَّجاةِ دونَ بقيَّةِ أهلِ القريَةِ، كما أنَّهم مأمورونَ بإهلاكِ أهلِ القَريَةِ الَّذين تواطَؤوا على الفاحِشَةِ جميعًا، والَّذي يُحقِّقُ هذا المعنى وذاك تقييدُ عدمِ الالتفاتِ والنَّجاةُ بالقيد ﴿مِنكُمْ﴾ أي: منكم أنْتُم بخاصَّةٍ،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/381.
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/338.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 2/491.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.

أمّا بقيَّةُ القوم؛ فَهالِكون، وناظِرون الهلاكَ إمعانًا في معاناةِ العَذابِ؛ ولذلك أيضا قَدَّمَ النَّظمُ الكريمُ ﴿مِنكُمْ﴾ على الفاعلِ ﴿أَحَدٌ﴾.

### سرُّ استعمالِ ﴿أَحَدٌ﴾:

تأكيدُ خصوصيَّةِ الخطابِ لكلِّ فردٍ بعدَ عمومِهِ

آثرَ النَّظمُ استعمالَ لفظِ ﴿أَحَدٌ﴾ دون (واحد)؛ وذلك لأنَّ "الواحِدَ يَدْخُلُ في الأحَدِ، والأحَدُ لا يَدْخُلُ فيهِ، وإذا قُلْتَ: فُلانٌ لا يُقاوِمُهُ واحِدٌ؛ جازَ أنْ يُقالَ: لَكِنَّهُ يُقاوِمُهُ اثْنانِ بِخِلافِ الأحَدِ، فَإنَّكَ لَوْ قُلْتَ: فُلانٌ لا يُقاوِمُهُ أحَدٌ؛ لا يَجُوزُ أنْ يُقالَ: لَكِنَّهُ يُقاوِمُهُ اثْنانِ، والواحِدُ يُسْتَعْمَلُ في الإثْباتِ، والأحَدُ في النَّفْيِ، تَقُولُ في الإثْباتِ: رَأيْتُ رَجُلًا واحِدًا، وتَقُولُ في النَّفْيِ: ما رَأيْتُ أحَدًا، فَيُفِيدُ العُمُومَ"[1]، و"الأحَدُ: يَستوعِبُ جِنسَهُ، والواحِدُ: لا يَستوعِبُهُ"[2].

وفائدةُ هذا التَّعبيرِ: أن يتَّجِهَ الخطابُ لكلِّ واحدٍ منهم على وجهِ الخصوصِ، فكأنَّ الخطابَ موجَّهٌ لكلِّ فردٍ منهم منفردًا، وهذا آكدُ في النَّهي عن الالتفاتِ، ممّا يُصوِّرُ حَجْمَ العقوبةِ النّازِلَةِ.

### توجيهُ القراءاتِ وأثرُهُ في بيانِ معنى الاستثناءِ:

من تعلَّقَ بقومٍ فهو منهم، ونالَ جزاءَهم

"قولُهُ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ يجوزُ فيهِ النَّصبُ والرَّفعُ، فمن قرأ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ بالنَّصْبِ، فَعَلَى معنى: فأسرِ بأهلِكَ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، ومن قرأ بالرَّفعِ، حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى: ولا يلتفتْ منكم أحدٌ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ﴾"[3].

وعن "قتادةَ أنَّها خرجَتْ مع لوطٍ من القريَةِ، فَسَمِعَتِ الصَّوتَ، فالتَفَتَتْ، فأرسلَ اللهُ عليهم حَجَرًا، فَأهلَكَها"[4]. فالخُلاصَةُ أنَّها امرأةٌ منبوذَةٌ، إمّا بعدمِ خروجِها معهم وبقائِها في القوم، فَتَهْلَكُ، أو بِخروجِها ثُمَّ التِفاتِها إلى الوراءِ، فيدرِكُها الهلاكُ أيضًا، فهي هالِكَةٌ على كلِّ حالٍ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/360.
(2) تفسير العزّ بن عبد السلام: 3/507.
(3) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/69.
(4) الماوردي، النكت والعيون: 2/491.

"وفي قولِه تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ امرأةَ لوطٍ لا تملكُ من أمرِها ألّا تلتفتَ، بل هي مقهورةٌ على الالتفاتِ والخروجِ عن هذا النَّهي، وذلك لمّا أرادَ اللّه لها من هلاكٍ"[1].

### نكتةُ اختيارِ لَفْظِ ﴿ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾:

من المقرَّرِ أنَّ النَّظمَ الكريمَ يعبِّرُ عَن قرينةِ الرَّجلِ - في حال تَوافُقِ الحياةِ الزَّوجيَّةِ وانسجامها بينهما - بوصفِ (الزَّوجةِ)، أمّا في حالِ التَّخالُفِ بينهما في الدِّين، أو الودِّ، أو عدم الإنجابِ، أو غيرِها من المنغِّصاتِ، فَيُعَبِّرُ عنها بَوصْفِ (المرأة).

من محاسِنِ الأخلاقِ صَبرُ الأولياءِ على ابتلاءِ النِّساءِ

والعداوةُ هنا بين لُوطٍ عليه السلام وامرأتِهِ بيِّنةٌ وشديدَةٌ، فَليس بينهما مجرَّدُ اختلافٍ في الدِّين، أو الخُلُقِ، بل إنَّ امرأتَهُ هي الَّتي سرَّبَتْ خَبَرَ الأضيافِ إلى قومِهِ قائلةً: "استضافَ لوطٌ قومًا، لمْ أرَ أحْسَنَ وجوهًا منْهُمْ، ولا أطْيَبَ رائِحةً، ولا أنظفَ ثيابًا"[2]، كما جاءَ في بعض الآثارِ.

ولذلك عبَّرَ القرآنُ الكريمُ عنها بلفظِ ﴿ٱمۡرَأَتَ﴾ أيضًا في قولِهِ تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: 10].

### بلاغةُ الاستِئنافِ البَيانيِّ:

مَنْ أحَبَّ قَوْمًا؛ حُشِرَ مَعَهُمْ

معنى "﴿مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾ أي: من العَذابِ، وهو إمطارُ الأحجارِ، وإن لم يُصِبْها الخَسْفُ"[3]، ومن المتوقَّعِ أن يطرأ سؤالٌ على ذِهْنِ لوطٍ عليه السلام بعدَ قولِ الملائكةِ: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ﴾ يقول: ولماذا؟ أو: ما مصيرُها؟ فيأتي الجوابُ: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾، وذلك أنَّها "كانت مع القوم بمشاعرِها وعواطفِها"[4].

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1182.
(2) الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/67.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/230.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 6/1182.

ولذلك قُطِعَت جملةُ ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾ عن جملةِ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَۖ﴾ للاستئناف البَيانيِّ، أو ما يسمِّيه البلاغيُّونَ شِبْهَ كمالِ الاتِّصال؛ إذ بينَ الجُمْلَتَين تناسُبٌ معنويٌّ واتِّصالٌ بوجهٍ من الوجوهِ؛ إذ تكونُ الثّانيةُ جوابًا عن سؤالٍ تثيرُهُ الأُولى، كما هنا.

**فائدة الإبهام في ﴿مَآ﴾:**

للمَوقفِ المَهول أدواتُهُ المفصِحَةُ عَنْهُ

أفادتْ أداةُ ﴿مَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْۚ﴾ تهويلَ الهلاكِ الَّذي ينزلُ بالقوم وتفظيعَهُ؛ أي: إنَّهُ سيكونُ مَهولًا فظيعًا لا يُطاقُ، وهي اسمٌ موصولٌ معناها (الذي)، غيرَ أنَّه أُوثِرَ ﴿مَآ﴾ على (الذي) لإيحائِها المرعِبِ في مثلِ هذا السِّياقِ وذلك المقام.

**دلالةُ استعمالِ فِعلِ ﴿أَصَابَهُمْۚ﴾:**

أمْرُ اللهِ إذا صَدَرَ؛ فلَهُ حُكْمُ الوقوعِ الوجودِيِّ

"مُقْتَضَى الظّاهِرِ أنْ يُقالَ: ما يُصِيبُهُمْ، فاستعمالُ فِعلِ المُضيِّ لِتَقْرِيبِ زَمَنِ الماضِي منَ الحالِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: 6] الآيَةَ، أوْ فِي مَعْنَى الاسْتِقْبالِ تَنْبِيهًا عَلَى تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [النَّحل: 1]"[1].

فعلى الرُّغم من أنَّ حدثَ الإصابةِ لم يقعْ بعدُ، وهم يُلقون إلى لوطٍ عليه السلام هذا النَّبأ المستقطعَ يُعبِّرُ النَّظمُ الكريمُ بالماضي ﴿أَصَابَهُمْۚ﴾، وذلك لأنَّ كلَّ آتٍ بالنِّسبةِ للّه تعالى فهو آتٍ، إن خيرًا وإن شرًّا، فإصابةُ القوم بتلكَ المصيبةِ واقعٌ بهم لا محالةَ، بل واقعٌ قريبًا جدًّا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾، فكيفَ إذا كانَ الآتي مصيبةً عظيمةً؛ إذ في مادَّةِ الفِعْلِ ﴿أَصَابَهُمْۚ﴾ دلالةُ المصيبةِ الشَّديدةِ، والدّاهيَةِ الَّتي تَحُلُّ بهم.

تُستأنفُ الجملُ لبيانِ ما فيها من التَّهويلِ والتَّعليلِ

**بلاغةُ الاستئنافِ:**

"جُمْلَةُ ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ ابْتِدائِيَّةٌ قُطِعَتْ عَنِ الَّتِي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/133.

قَبْلَها اهْتِمامًا وتَهْوِيلًا"[1]، فهذا خَبَرٌ جديدٌ يُسْدِيهِ الملائكةُ الكِرامُ إلى لوطٍ ﷺ في جملة أخبارٍ تتلاحَقُ وتتوالى عليه بالبِشارَةِ، فإهلاكُ امرأتِهِ بِشارَةٌ، ولا رَيبَ أنَّهُ قد عانى منها طويلًا، وصَبَرَ عليها كثيرًا، حتَّى جاءها من اللّه تعالى ما تَستَحِقُّ.

وجاء هذا الخبرُ مفصولًا عمّا قبلَهُ؛ لأنَّه "تعليلٌ للأمْرِ بالإسراءِ والنَّهيِ عنِ الالتفاتِ المُشعِرِ بالحثِّ على الإسراعِ"[2]، "وحِكْمَتُهُ أنَّهُمْ يَكُونُونَ مُجْتَمِعِينَ فِيهِ فِي مَساكِنِهِمْ، فَلا يَلْتَفِتُ أحَدٌ مِنْهُمْ"[3].

## دلالةُ التَّعريفِ بالإضافةِ:

إبهامُ طريقِ معرفةِ الموعدِ اقتضتْ تعريفَهُ بالإضافةِ

لسائلٍ أن يسألَ عن سببِ تعريفِ الموعدِ بالإضافةِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾؟ والجوابُ: أنَّ "المَوْعِدَ: وقْتُ الوعْدِ، والوعْدُ أعَمُّ منَ الوعيدِ، فَيُطْلَقُ عَلَى تَعْيِينِ الشَّرِّ فِي المُسْتَقْبَلِ، والمُرادُ بِالمَوْعِدِ هُنا مَوْعِدُ العَذابِ الَّذِي علِمَه لُوطٌ ﷺ إمّا بِوحْيٍ سابِقٍ، وإمّا بِقَرِينَةِ الحالِ، وإمّا بِإخْبارٍ منَ المَلائِكَةِ فِي ذَلِكَ المَقامِ طَوْتْهُ الآيَةُ هُنا إيجازًا، وبِهَذِهِ الاعْتِباراتِ صَحَّ تَعْرِيفُ الوعْدِ بِالإضافَةِ إلَى ضَمِيرِهِمْ"[4].

## سرُّ إيثارِ الصُّبحِ على الفَجْرِ:

معاينةُ العذابِ لونٌ من ألوانِهِ ووقتٌ لحلولِ أوانِهِ

عُيِّنَ الصُّبحُ موعِدًا لهلاكِ القومِ؛ "لأنَّه وقتُ الدَّعةِ والرّاحةِ، فَيكونُ حلولُ العذابِ حينئَذٍ أفظعَ، ولأنَّهُ أنْسبُ بكون ذلك عِبْرةً للنّاظرينَ"[5]، "ويجوزُ أن يكونَ قد جَعَلَ الصُّبْحَ ميقاتًا لهلاكِهم؛ لأنَّ النُّفوسَ فيه أودعُ والنّاسُ فيه أجمعُ"[6]، والصُّبحُ هو وقتُ بدايةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/132.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/230.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 12/113.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/133.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/230.
(6) الماوردي، النكت والعيون: 2/492.

انطلاقِ النّاس لأعمالِهم، فأن يأتيَهم العذابُ في هذه السّاعةِ ممّا يزيدُ من عذابِهم، بخلافِ ما لو أتاهم، وهُم نائمونَ.

### علَّةُ الفصلِ:

قُطِع هذا السُّؤالُ عمّا قَبْلَهُ لكمالِ الانقطاعِ؛ إذ هو إنشاءٌ، والسّابقُ ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُۚ﴾ خبرٌ، ولا يتعاطفان.

### غرضُ الاستفهام:

قـــربُ ذهـــابِ الـفـاسـديـن اقـــترابُ راحـــةِ المؤمنين

الاستفهامُ في قولِه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ إمّا أن يُحمَلَ على تقريرِهِ ﷺ بقُرْب الموعد، أو "ليتعجَّل في السَّيْر؛ فإنّ قُرْبَ الصُّبْحِ داعٍ إلى الإسراع في الإسراء، للتَّباعُدِ عن موقع العذابِ"(1)، وإمّا على الاستعجالِ، قال البقاعيُّ: "كأنَّ لوطًا ﷺ أبطأ في جمْعِ أهلِه وما يصلحُهم، فكان فعلُهُ فِعلَ من يستبعدُ الصُّبْحَ، فأنكروا ذلك بقولِهم: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ أي: فأسرِعِ الخروجَ بمن أُمِرْتَ بهم"(2).

وفي الاستفهام إشارةٌ أخرى لِلُوطٍ ﷺ بقربِ هلاكِ قومه واستتبابِ الأمرِ لهُ، كما أنَّ في الاستفهام تطمينًا لنفسِهِ؛ أي: قد حانَ وقتُ الخلاصِ من أهلِ الفسادِ.

### دلالةُ ذكْرِ الباءِ:

الباءُ في قولِه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ "لتأكيدِ الإثباتِ"(3)، و"ما هو كائنٌ فقريبٌ، والبعيدُ ما لا يكونُ، وإنَّ مَن أقدمَ على محظورٍ، ثُم حُوسِب عليهِ - ولو بعدَ دهورٍ خاليةٍ وأعوامٍ غيرِ محصورةٍ ماضيةٍ - تصوَّرَ له الحالُ كأنَّه وقتُ مباشرتِهِ لتلكَ الزَّلَّةِ"(4).

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 6/121.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 9/345.
(3) بهجت، الإعراب المفصل لكتاب الله المرتّل: 5/221.
(4) القشيري، لطائف الإشارات: 2/150.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### السُّرَى والمشي:

السُّرى يختصُّ بمشي اللَّيلِ

السُّرَى: سَيْرُ اللَّيلِ بخاصَّةٍ، يقال: سَرَى وأَسْرَى، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾"[1]، والمشيُ: "المضيُّ، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ [البقرة: 20] والمرور، قال الله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ [طه: 128] والسَّير، قال الله: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: 15]؛ أي: سيروا".

### المرأةُ والزَّوجةُ:

يُطلِقُ النَّظمُ القرآنيُّ الكريم اسمَ (المرأة) على كلِّ زوجةٍ لا يتوفَّر بينها وبين زوجِها الوئامُ الكاملُ، بأن تكونَ على غيرِ دينِه، أو تكونَ ناشِزًا، أو تكونَ عاقِرًا لا تلِدُ لَهُ، أو إلى آخرِ تلك المنغِّصاتِ الَّتي سببُها الزَّوجةُ.

بينما يُطلِقُ النَّظمُ الكريمُ اسمَ (الزوجة) على كلِّ من توافرَت فيها أسبابُ السَّعادةِ لزوجِها، بأن تكونَ على دينِه، ويكونَ بينهما الوئامُ والانسجامُ، وأن تلِدَ له، وما إلى ذلك؛ بحيثُ يصحُّ أن يوصفَ على كلٍّ منهما بأنَّه زوجٌ للآخرِ، فـ "المرأةُ زَوجُ الرَّجلِ، والرَّجُلُ زَوْجُ المرأةِ، ولا يُقال للمرأةِ: زوجةٌ إلّا قَليلًا... والزَّوجةُ: الحَليلَةُ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾" [النساء: 57][2].

(1) الراغب، المفردات: (سرو).

(2) العسكريّ، الوجوه والنظائر: (الزوج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»